خطبة صلاة الجمعة 5/ 6/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(شكراً)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ يُمْتَثَلُ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِب الصَّوم وَالصَّلاةِ**» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة العشرون في سلسلة خطب عنوانها (**فضيلة... أخلاق تعاملية**)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لايليق بمثلك. وهذا هدف السلسلة.

شكراً من كل قلبي، لاتحسبنَّ يوماً أنني سأنسى وقوفَك معي في محنتي، كلمة شكر وعرفان الى صاحب القلب الكبير والنفس الأبيَّة والابتسامة الفريدة، رسالة أبعثها مليئة بالحب والشكر.

ولو أنَّني أُوتيتُ كلَّ بلاغـــةٍ ... وأفنيتُ بحرَ النطقِ في النظمِ والنثرِ

لما كنت بعد القول إلا مُقصراً ... ومعترفاً بالعجزِ عن واجبِ الشكرِ

أعبر لك عن عظيم شكري وبالغ امتناني، كنتَ كسحابة معطاءة سقت الأرض فاخضرَّت، فشكراً جزيلاً.

كنتَ ولازلتَ كالنخلة الشامخة تعطي بلا حدود، فجزاك الله عني خير الجزاء، لكلِّ مقامٍ مقال، ولكل معروف شكر وتقدير، فجزيل الشكر نهديك.

عبر نفحات النسيم، وأريج الأزاهير، وخيوط الأصيل، أرسل شكراً من الأعماق لك...

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عِقد الشكر الذي تستحقه، إليكِ يا من بذلت ولم تنتظري العطاء أهدي عبارات الشكر والتقدير

عنوان خطبة اليوم: (**شكراً**)

أيها الإخوة:

إنَّ من أخلاق النبلاء، ومن شيم الكبراء، ومن حلية الأولياء خلق الوفاء، الذي يتمثل شكرا للمُحسن على إحسانه ومكافأةً لصاحب الجميل على جميله، ودعاءً للمتفضل على فضله.

والمؤمن لا يكون شاكراً لله حتى يكون معترفاً بالفضل لأهل الفضل، ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» [أبي داود] .

وفي رواية المسند: «**إنَّ أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس**».

والمؤمن لا يكون شاكراً لله حتى يكون معترفاً بالفضل لأهل الفضل، كيف وهو يتعلم من أنبياء الله أن لاينسى لصاحب المعروف معروفه ولو أفرغ دلوه في دلوه.

فهذا نبي الله شعيب يطلب موسى عليه السلام ليكافأه لأنه سقى لبناته: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: 25].

والمؤمن لا يكون شاكراً لله حتى يكون معترفاً بالفضل لأهل الفضل، كيف وهو يقرأ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يشكر من أقرضه ويدعو له.

روى الإمام أحمد وغيره عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْلَفَ مِنْهُ، حِينَ غَزَا حُنَيْنًا ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمَ قَضَاهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ**»

ويقرأ في رسول الله صلى الله عليه وسلم الشكر والوفاء لمن صدَّقته عندما كذَّبه الناس ونصرته عندما خذلوه وواسته بمالها ورزقه الله منها الولد.

روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ).

أيها الإخوة:

شكراً، أقل كلمة يقولها المستفيد لمن أفاده، والمعطى لمن أعطاه، والابن لمن رباه. والممتحَن لمن وقف معه في محنته.

كتب أحد الدعاة يقول: (وليس المؤمن بالجشع الذي لا يهزه إلا فيض الإكرام والإنعام، بل إن نفحةً من الإحسان كافية، لأن تثير فيه دواعي الشكر والمكافأة. وقد وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله: **«من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير»**. [رواه أحمد]).

وحتى لا تموت المروءة في الناس، ولكيلا يتعلم أبناء الأمة الكفران والجحود، ولئلا يتخلقوا بنكران الجميل ونسيان المعروف، علَّمنا النبي صلى الله عليه وسلم شُكرَ صاحب المعروف فقال: **«من أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه»**. [أحمد وأبو داود].

وفي حديث: **«ومن لم يجد فليثن؛ فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر »** [أبو داود والترمذي].

أيها الإخوة:

قرأت مقالاً عن الشكر منشوراً على صفحات الشابكة (الانترنت) في موقع طبي جاء فيه:

(أصبح الشكر والامتنان عِلمَاً، وهو مجال حديث نسبياً ينال حالياً قدراً كبيراً من الاهتمام ضمن ما يسمى بعلم النفس الإيجابي، وجد الباحثون أن التفكير في الامتنان وإظهارَ تعبيراته للآخرين يرتبط بزيادة مستويات السعادة والطاقة الجسدية والتفاؤل والتعاطف.

وقد قام عالم النفس ورئيس تحرير مجلة "علم النفس الإيجابي" البروفيسور روبرت إيمونز بإصدار كتاب عنوانه: (شكراً)، تحدث فيه عن أثر الشكر فيمن يشكر الآخرين، وأثره في الآخرين، ووجد أن الامتنان لشخص ما، يزيد من مشاعر سعادة الفرد، ويؤدي لإحداث تغيير إيجابي في الحياة).

أيها الأخ الكريم: إنَّ أمك وأباك يحتاجان منك إلى كلمة (شكراً)، إنَّ من أسهر ليله مؤانساً لك في أيام دراستك للامتحان يتوقع منك (شكراً)، وإنَّ من قَطَعَ عن نفسه ما تهوى ليقدم المال لك لتدرس؛ المأمول منك أن تقول له: (شكراً).

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14].

أيها الزوج: إنَّ زوجك التي حمت بيتك في غيبتك، وحافظت على سكينة البيت عند قيلولتك، وهَدَأت خافضة الصوت والرأس عند غضبتك، ولم تشتد عند فورتك تنتظر منك كلمة (شكراً).

(وبالشكر تدوم النعم)

أيتها الزوجة: إنَّ زوجَكِ الذي يَصِلُ كلال الليل بكلال النهار ليأتيكم بالرزق الحلال، إنَّ من أنفق على كسوتكم جميعاً العام الماضي ونسي نفسه، وقدم لكم الهدايا في أفراحكم جميعاً ولم يترك هدية لنفسه، ينتظر منكِ كلمة (شكراً). ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]

أيها الأخ العامل: إنَّ من قدَّم لك معروفاً يرجو وجه الله، ويسَّر عليك عسرتك يرجو ثواب الله، ونفَّس عنك كُربتك تقرباً إلى الله، يظن أن تقول له: (شكراً) إرضاء لله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

يا صاحب العمل ومديرَه: إنَّ من وقف مُنافحاً عنك، ومن قعد أمام سرير مرضك خادماً لك، ومن قام على رعاية أسرتك عندما كنت مسافراً، ومن أدار عملك في غيبتك... يظنون فيك أن تقول لهم: (شكراً). ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7].

أيها الطالب: إنَّ معلمك ينتظر منك كلمة (شكراً)، وإنَّ صديقك الصدوق ينتظر منك كلمة (شكراً).

أيها الأخ الكريم: إنَّ من أوقف سيارته لتعبر الطريق أنت وزوجك وأولادك يتوقع منك إشارة (شكراً)، وإنَّ من أمسك باب المسجد ليبقى مفتوحاً لتدخل أو لتخرج يظن منك (شكراً). ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: 40].

والعجب أيها الإخوة أنَّ كلمة الشكر كلمة هينة ولكن عدداً من الناس لا يتذكرونها. ولئن كانت الخطبة تتحدث عن كلمة الشكر فإنها تتحدث عن أقل مراتب الشكر في إشارة:

أن من ملك المكافأة فليكافئ، ومن ملك المساعدة فليساعد، ومن استطاع المعونة فليعاون، ليشيع الخير في المجتمع وليكثر البر فيه وليشيع الجميل بين الناس.

وحسب الشاكر للناس على جميلهم أن الله تعالى شاكر وشكور ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147] ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34].

وحسبه أن الأنبياء موصوفون بالشكر ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

وحسبه أنه من عباد الله القليل ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وحسبه أن الله تكفل جزاءه بالخير ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

أيها الإخوة:

أردت من الخطبة في فضيلة – أخلاق تعاملية- أن يكثر شكر المعروف بيننا، وأن لا ينس امرؤ يداً أحسَنت إليه ليشيع الخير بين الناس ويزداد.

وها أنا أختم الخطبة بأربع وصايا عملية اجعلها مقترنة بكلمة (شكراً) عندما تقولها لمن حولك:

1- اقرن كلمة (شكراً) بابتسامة ترسمها على وجهك، وبنظرة ممتنة من عينيك إلى عيني من تشكره، وبقبلة تطبعها على جبين ابنتك، وبتربيت تضعه على كتف ابنك أو بمصافحة قوية حانية لتلميذك.

2- اقرن كلمة (شكراً) بدقيقة من وقتك لتفسر سبب شكرك، لأنك عندها تُشعر الشخص الآخر بالتقدير، وفي الوقت نفسه تعلمه أهمية التصرف الصحيح الذي قام به ليلتزم به في المستقبل. مثلاً قل له: (شكراً على الاهتمام الذي أوليته لأدق التفاصيل في هذا المشروع. أرى أنك بذلت جهداً إضافياً لإتمامه بإتقان، وأنا أقدر ذلك حقاً).

3- قل: (شكراً) من دون سابق إنذار وبشكل غير متوقع، فإنَّ هذا من شأنه أن يترك أثراً عظيماً في المشكور؛ فقد لا يكون الشخص قد فعل أي شيء إيجابي في تلك اللحظة، ولكن يمكنك شكره على صفة يتميز بها، كأن تقول: (أشكرك لأنك مثال يحتذى به في النزاهة).

4- قل: (شكراً) عبر رسالة مكتوبة. فإن للكلمة المكتوبة أثراً تسر به العين ويرتاح له الفؤاد.

أيها الإخوة:

(شكراً)... كلمة صغيرة وخُلُق كريم له دلالات ونتائج كبيرة، فهي عبادة لله وطريق لقلوب الناس وفوائدها كثيرة على الفرد والمجتمع، فلنعلِّمها لأبنائنا ولنعززها في سلوكياتنا وحياتنا اليومية.

وأخيراً كل الشكر لله تعالى وكل الفضل والثناء له سبحانه أن أقامني مقام خدمة دينه في خطبة الجمعة

ثم الشكر لكم أيها الإخوة والأخوات لأنكم تستمعون إلي، وكم من مرة طولت فصبرتم أو أخطأت فعفوتم أو نسيت فسترتم، فجزاكم الله عني خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين